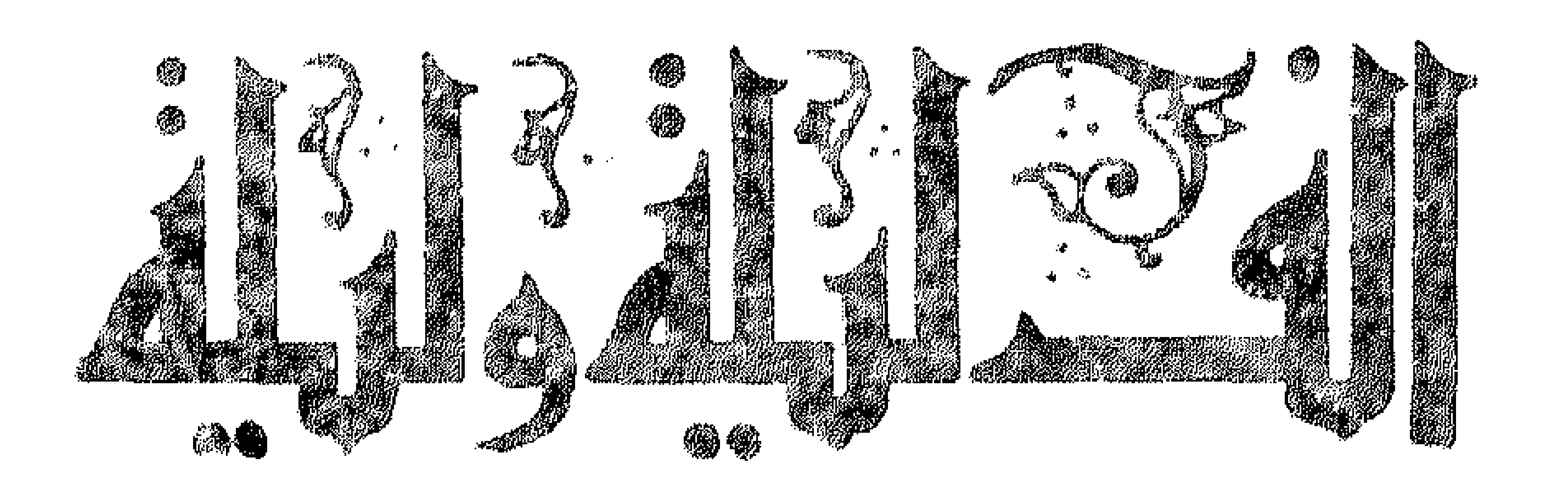


غانم وقوت القلوب

ألف ليلة وليلة

٧

غانم وقوت القلوب

راجعها

سعيد جودة السحار ، عبد الستار فراج

الناشر

مكتبة مصر

٣ شارع كامل صدقي باشا



التاجر أيوب وابنه غانم وابنته فتنة

قالت شهرزاد : بلغني أيها الملك السعيد ، أنه كان في قديم الزمان ، وسالف العصر والأوان ، تاجر من التجار له مال . وله ولد كأنه البدر ليلة تمامه ، فصيح اللسان ، يسمى غانم بن أيوب ، المتيم المسلوب : وله أخت ، اسمها فِتنة ، من فرط حسنها وجمالها : فتوفي والدهما ، وخلف لهما مالا جزيلا .

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٣٧

(فلما كانت الليلة السابعة والثلاثون) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن ذلك التاجر خلف لهما مالا جزيلا ، ومن جملة ذلك مائة حِمْل من القَزّ والديباج ، ونوافج[1] المسك ، ومكتوب على الأحمال : « هذا بِقَصْدِ بغداد » .

وكان مزاده أن يسافر إلى بغداد ؛ فلما توفاه الله تعالى ، ومضت مدة ، أخذ ولده هذه الأحمال وسافر بها إلى بغداد — وكان ذلك فى زمن هرون الرشيد — وودع أمه وأقار به وأهل بلدته قبل سيره ، وخرج متوكلا على الله تعالى . وكتب الله له السلامة ، حتى وصل إلى بغداد ؛ وكان مسافراً صحبة جماعة من التجار ، فاستأجر له داراً حسنة ، وفرشها بالبسط والوسائد ، وأرخى عليها الستور ، وأنزل فيها تلك الأحمال والبغال والجمال ، وجلس حتى استراح ، وسلم عليه تجار بغداد وأكابرها ، ثم أخذ بقجة فيها عشر تفاصيل من القماش النفيس ، مكتوب عليها أثمانها ، ونزل بها إلى سوق التجار ؛ فلاقوه ، وسلموا عليه ، وأكرموه ، وتلقوه بالترحيب ، وأنزلوه على دكان شيخ السوق . وباع التفاصيل ، فربح فى كل دينار دينارين ؛ ففرح غانم ، وصار يبيع القماش والتفاصيل شيئاً فشيئاً ، ولم يزل كذلك سنة كاملة .

---

(١) النوافج : جمع نافجة وهى وعاء المسك .

وفى أول السنة الثانية جاء إلى ذلك السوق ، فرأى بابه مقفلا ، فسأل عن سبب ذلك ، فقيل له : إنه توفى واحـد من التجار ، وذهب التجار كلهم يمشون فى جنازته ، فهل لك أن تكسب أجراً وتمشى معهم ؟ قال : نعم .

ثم سأل عن محل الجنازة ، فدلوه على المحـل ؛ فتوضأ ثم مشى مع التجار ، إلى أن وصلوا إلى المصلى ، وصلوا على الميت . ثم مشى التجار جميعهم قدام الجنازة إلى المقبرة ، فتبعهم غانم إلى أن وصلوا بالجنازة إلى المقبرة خارج المدينة ؛ ومشوا بين المقابر حتى وصلوا إلى المدفن ، فوجدوا أهل الميت قد نصبوا على القبر خيمة ، وأحضروا الشـموع والقناديل ، ثم دفنوا الميت ، وجلس القراء يقرءون على ذلك القبر ؛ فجلس التجار ، ومعهم غانم بن أيوب ، وهو غالب عليه الحياء ، فقال فى نفسه : أنا لا أقدر أن أفارقهم حتى أنصرف معهم .

ثم إنهم جلسوا يسمعون القرآن إلى وقت العشاء ، فقدموا لهم العشاء والحلوى ، فأكلوا حتى اكتفوا ، وغسلوا أيديهم ، ثم جلسوا مكانهم ؛ فاشتغل خاطر غانم ببضاعته ، وخاف من اللصـوص ، وقال فى نفسه : أنا رجل غريب ، ومتَّهم بالمـال ، فإن بت الليلة بعيداً عن منزلى ، سرق اللصوص ما فيه من المال والأحمال .

وخاف على متاعه ، فقام وخرج من بين الجماعة ، واستأذنهم على أنه يقضى حاجة ؛ فسار يمشى ويتتبع آثار الطريق ، حتى جاء إلى باب

المدينة ؛ وكان ذلك الوقت نصف الليل ، فوجد باب المدينة مغلقاً ، ولم ير أحداً غادياً ولا رائحاً ، ولم يسمع صوتاً سوى نباح الكلاب ، وعواء الذئاب ، فقال : لا حول ولا قوة إلا بالله ، كنت خائفاً على مالى ، وجئت من أجله ، فوجدت الباب مغلقاً ، فصرت الآن خائفاً على روحى .

ثم رجع ينظر له محلا ينام فيه إلى الصباح ، فوجد تربة محوطة بأربعة حيطان ، وفيها نخلة ، ولها باب من الصوّان مفتوح ؛ فدخلها ، وأراد أن ينام ، فلم يجئه نوم ، وأخذته رجفة ووحشة وهو بين القبور . فقام واقفاً على قدميه ، وفتح باب المكان ، ونظر فرأى نوراً يلوح على بعد فى ناحية باب المدينة ؛ فمشى قليلا ، فرأى النور مقبلا فى الطريق التى توصل إلى التربة التى هو فيها . فخاف غانم على نفسه ، وأسرع برد الباب ، وتعلق حتى طلع فوق نخلة وتوارى فوقها . فصار النور يقترب شيئاً فشيئاً ، حتى قرب من التربة ؛ فتأمل النور ، فرأى ثلاثة عبيد : اثنان منهما حاملان صندوقاً ، وواحد فى يده فأس ومصباح . فلما قربوا من التربة ، قال أحد العبدين الحاملين الصندوق : مالك يا صواب ؟

فقال العبد الآخر منهما : مالك يا كافور ؟

فقال : أما كنا هنا وقت العشاء ، وتركنا الباب مفتوحاً ؟

فقال : نعم هذا الكلام صحيح .

فقال : ها هو ذا مغلق مُتْرَس .

فقال لهما الثالث ، وهو حامل الفأس والمصباح — وكان اسمه بخيتا — : ما أغفل عقلكما ! أما تعرفان أن أصحاب الغيطان يخرجون من بغداد ، ويترددون هنا ، فيمسى عليهم المساء ، فيدخلون هنا ، ويغلقون عليهم الباب ، خوفاً من السود — الذين هم مثلنا — أن يأخذوهم و يشووهم و يأكلوهم ؟

فقالا له : صدقت ، وما فينا أقل عقلا منك .

فقال لهما : إنكما لن تصدقانى حتى ندخل التربة ونجد فيها أحداً ؛ وأظن أنه إذا كان فيها أحد ورأى النور ، فإنه يكون قد هرب فوق النخلة .

فلما سمع غانم كلام العبد ، قال فى نفسه : « ما أمكر هذا العبد ! قبح الله السود لما فيهم من الخبث واللؤم » . ثم قال : لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، ومن ذا الذى يخلصنى من هذه الورطة ؟

ثم إن الاثنين الحاملين الصندوق قالا لمن معه الفأس : تعلق على الحائط وافتح لنا الباب يا صواب ، لأننا تعبنا من حمل الصندوق على رقابنا ؛ فإذا فتحت لنا الباب لك علينا واحد من الذين نمسكهم ، ونقليه لك قلياً جيداً ، بحيث لا يضيع من دهنه نقطة .

فقال صواب : أنا خائف من شىء تذكرته من قلة عقلى ، وهو أننا نرمى الصندوق إلى أعلى ليقع وراء الباب ، لأنه ذخيرتنا .

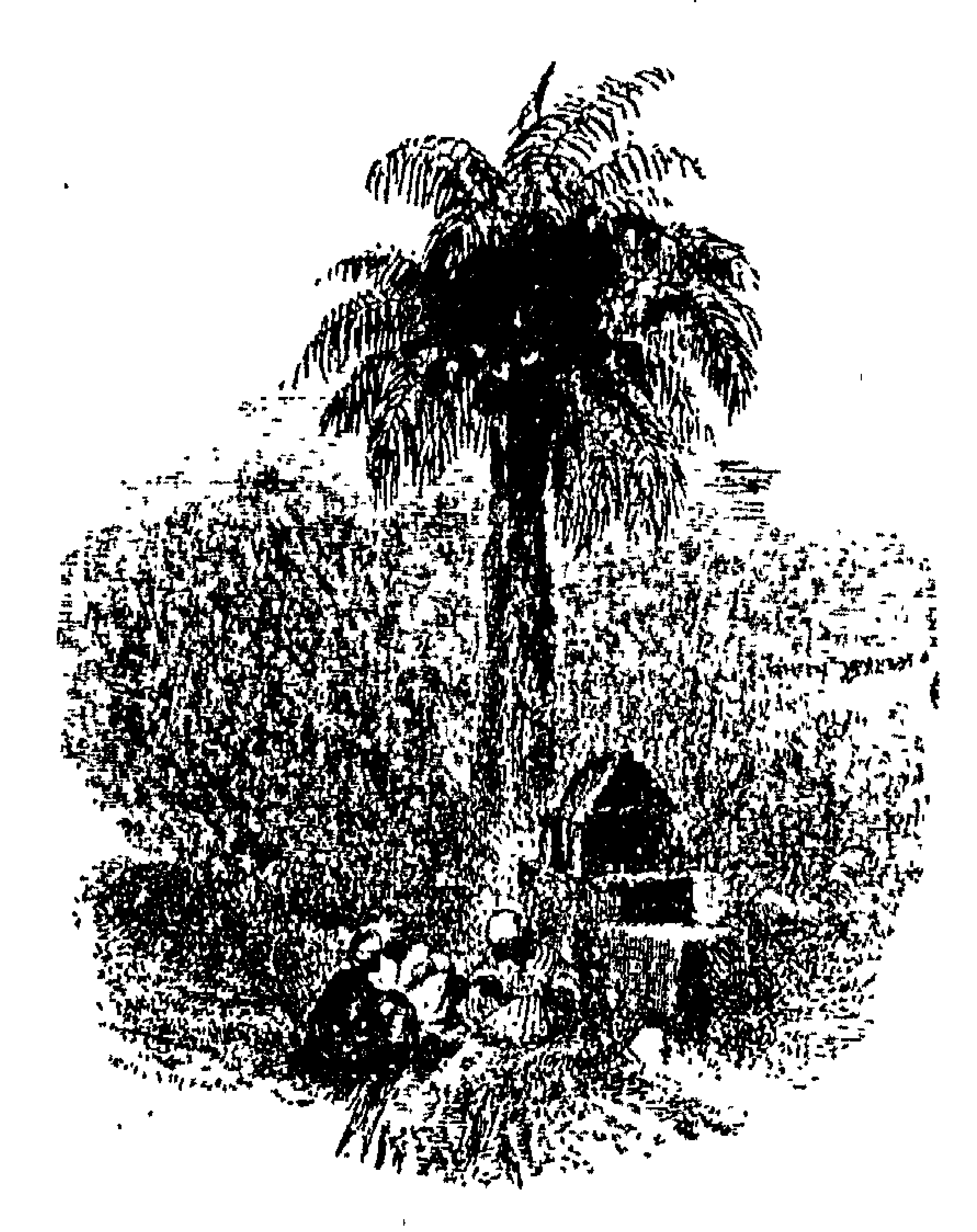
فقالا له : إن رميناه ينكسر .

فقال : أنا خائف أن يكون داخل التربة الحرامية الذين يقتلون

الناس و يسرقون الأشياء ؛ لأنهم إذا أمسى عليهم الوقت يدخلون فى هذه الأماكن . و يقسمون ما يكون معهم .

فقال له الاثنان الحاملان الصندوق : يا قليل العقل ، هل يقدرون أن يدخلوا هنا ؟

ثم حملا الصندوق ، وتعلقا على الحائط ، ونزلا وفتحا الباب ؛ والعبد الثالث الذى هو بخيت واقف لهما بالمصباح والمقطف الذى فيه بعض من الجبس . ثم إنهم جلسوا وأقفلوا الباب ، فقال واحد منهم :



يا أخوىّ ، نحن تعبنا من المشى والشول والحط ، وفتح الباب وإقفاله ، وهذا الوقت نصف الليل ، ولم يبق فينا قوة لفتح الباب ودفن الصندوق ؛ ولكننا نجلس هنا ثلاث ساعات لنستريح ، ثم نقوم ونقضى حاجتنا ؛ ولكن كل واحد منا يحكى سبب تطويشه ، وجميع ما وقع له من المبتدا إلى المنتهى ، لأجل فوات هذه الليلة .

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٣٨

(فلما كانت الليلة الثامنة والثلاثون) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن العبيد الثلاثة لما قال بعضهم لبعض كل واحد يحكى جميع ما وقع له ، قال الأول وهو الذى كان حاملا المصباح : أنا أحكى لكم حكايتى .

فقالوا له : تكلم .

قال لهم : اعلموا يا أخوىّ أنى لما كنت صغيراً ، جاء بى الجلاّب من بلدى ، وعمرى خمس سنين ، فباعنى لواحد من الشُّرَط . وكان له بنت عمرها ثلاث سنوات ، فتربيت معها ؛ وكانوا يضحكون على وأنا ألاعب البنت وأرقص وأغنى لها ، إلى أن كبرنا وهم لا يمنعوننى عنها . فدخلت عليها يوما من الأيام ، وهى جالسة فى خلوة ، وكأنها خرجت

من الحمام الذى فى البيت ؛ لأنها كانت معطرة مبخرة ، ووجهها مثل القمر فى ليلة أربعة عشر ؛ فلاعبتنى ولاعبتها ، ووسوس لنا الشيطان ، وزين لنا أعمالنا ، فوقعنا فى السوء . . .

فلما عاينت ذلك هربت عند أصحابى ؛ فدخلت عليها أمها ، فلما رأت حالها غابت عن الدنيا ، ثم تداركت أمرها وأخفت حالها عن أبيها ، وكتمته ، وصبرت عليها مدة شهرين ؛ كل هذا وهم ينادوننى ويلاطفوننى ، حتى أخذونى من المكان الذى كنت فيه ، ولم يذكروا شيئاً من هذا الأمر لأبيها ، لأنهم كانوا يحبوننى كثيراً .

ثم إن أمها خطبت لها شاباً مزيناً كان يزين أباها ، وأمهرتها من عندها وجهزتها ، كل هذا وأبوها لا يعلم بحالها ، وصاروا يجتهدون فى تحصيل جهازها ؛ ثم إنهم أمسكوا بى على غفلة وخصونى . ولما ماتت هى وزوجها وأبوها وأمها أخذنى بيت المال ، وصرت فى هذا المكان ، وانضممت إليكم ؛ وهذا سبب خصائى والسلام .

فقال العبد الثانى : اعلموا يا أخوىّ أنى كنت فى ابتداء أمري ابن ثمانى سنين ، ولكن كنت أكذب على الجلابين فى كل سنة كذبة ، حتى يقع بعضهم فى بعض . فضاق بى الجلاب ، وأنزلنى فى يد الدلال ، وأمره أن ينادى : « من يشترى هذا العبد على عيبه ؟ » فقيل له : « وما عيبه ؟ » قال : « يكذب فى كل سنة كذبة واحدة » .

فتقدم رجل تاجر إلى الدلال وقال له : « كم أعطوا فى هذا العبد من الثمن ؟ » قال : « أعطوا ستمائة درهم » . قال : « ولك عشرون » .

فجمع بينه و بين الجلاب ، وقبض منه الدراهم ، وأوصلنى الدلال إلى منزل التاجر ، وأخذ دلالته ؛ فكسانى التاجر بما يناسبنى ، ومكثت عنده باقى سنتى ، إلى أن هلّت السنة الجديدة بالخير ، وكانت سنة مباركة مخصبة بالنبات . فصار التجار يعملون الولائم ، وكل يوم عند واحد منهم ، إلى أن جاءت الوليمة على سيدى فى بستان البلد . فراح هو والتجار ، وأخذ لهم ما يحتاجون إليه من أكل وغيره ، وجلسوا يأكلون و يشربون و يتنادمون إلى وقت الظهر . فاحتاج سيدى إلى شىء من البيت ، فقال : يا عبد اركب البغلة ورح إلى المنزل ، وهات من سيدتك الحاجة الفلانية ، وارجع سريعاً .

فامتثلت أمره ، ورحت إلى المنزل ؛ فلما قربت من المنزل ، صرخت وأسبلت الدموع ، فاجتمع أهل الحارة كباراً وصغاراً . وسمعت صوتى زوجة سيدى وأبناؤه و بناته ، ففتحوا الباب وسألونى عن الخبر ، فقلت لهم : إن سيدى كان جالساً تحت حائط قديمة هو وأصحابه ، فوقعت عليهم ؛ فلما رأيت ما جرى لهم ركبت البغلة ، وجئت مسرعاً لأخبركم .

فلما سمع أولاده وزوجته ذلك الكلام ، صرخوا وشقوا ثيابهم ، ولطموا على وجوههم ، فأتى إليهم الجيران ؛ وأما زوجة سيدى فإنها قلبت متاع البيت بعضه على بعض ، وخلعت رفوفه ، وكسرت طبقاته

وشبابيكه ، وسخَّمت حيطانه بطين ونيل ، وقالت ويلك يا كافور ، تعال ساعدنى واخرب هذه الدواليب ، واكسر هذه الأوانى والصينى .

فجئت إليها ، وأخرجت معها رفوف البيت ، وأتلفت ما عليها . ودواليبه أتلفت ما فيها ، ودرت على السقوف وعلى كل محل ، حتى خربت الجميع ، وأنا أصيح : واسيداه !

ثم خرجت سيدتى مكشوفة الوجه ، بغطاء رأسها لا غير ، وخرج معها البنات والأولاد ، وقالوا : يا كافور ، امش قدامنا وأرنا مكان سيدك الذى هو ميت فيه تحت الحائط ، حتى نخرجه من تحت الردم ، ونحمله فى تابوت ، ونجىء به إلى البيت ، فنخرجه خرجة مليحة .

فمشيت قدامهم وأنا أصيح : « واسيداه ! » وهم خلفى مكشوفو الوجوه والرءوس ، ويصيحون : « وامصيبتاه ! » فلم يبق أحد من الرجال ولا من النساء ولا من الصبيان ، ولا صبية ولا عجوز إلا جاء معنا ، وصاروا كلهم يلطمون ، وهم فى شدة البكاء . فمشيت بهم فى المدينة ، وسأل الناس عن الخبر فأخبروهم بما سمعوا منى ، فقال الناس : لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، إننا نمضى للوالى ونخبره .

فلما وصلوا إلى الوالى أخبروه .

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٣٩

(فلما كانت الليلة التاسعة والثلاثون) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أنهم لما وصلوا إلى الوالى وأخبروه ، قام الوالى وركب ، وأخذ معه الفعلة بالمساحى[1] والقفف ، ومشوا تابعين أثرى ، ومعهم كثير من الناس ، وأنا قدامهم أبكى وأصيح ، وأحثو التراب على رأسى ، وألطم على وجهى .

ثم أسرعت وسبقتهم ، فلما دخلت البستان ورآنى سيدى وأنا ألطم وأقول : واسيدتاه ! من يحنّ علىّ بعد سيدتى ؟ يا ليتنى كنت فداءها .

فلما رآنى سيدى بهت واصفر لونه ، وقال : مالك يا كافور ؟ وما هذه الحال ؟ وما الخبر ؟

فقلت له : إنك لما أرسلتنى إلى البيت لأجىء لك بالذى طلبته ، رحت إلى البيت ودخلته ، فرأيت الحائط الذى فى القاعة قد وقع ، فانهدمت القاعة كلها على سيدتى وأولادها .

فقال لى : وهل سيدتك لم تسلم ؟

فقلت : لا ، ما سلم منهم أحد ، وأول من مات منهم سيدتى الكبيرة .

فقال : وهل سلمت بنتى الصغيرة ؟

فقلت له : لا .

---

(١) المساحى : جمع مسحاة وهى يسحى بها أى يجرف بها .

فقال لى : وما حال البغلة التى أركبها ؟ هل هى سالمة ؟

فقلت له : لا يا سيدى ، فإن حيطان البيت وحيطان الإصطبل ، انطبقت على جميع مافى البيت ، حتى على الغنم والأوز والدجاج ، وصارت كلها كوم لحم تحت الردم ، ولم يبق منها شىء .

فقال لى : ولا سيدك الكبير ؟

فقلت له : لا ، فلم يسلم منهم أحد ؛ وفى هذه الساعة لم يبق لا دار ولا سكان ، ولم يبق من ذلك كله أثر .

فلما سمع سيدى كلامى صار الضياء فى وجهه ظلاماً ، ولم يقدر أن يتمالك نفسه ولاعقله ، ولم يقدر أن يقف على قدميه ، بل جاءه الكساح وانكسر ظهره ، ومزق أثوابه ، ونتف لحيته ، ولطم على وجهه ، ورمى عمامته من فوق رأسه ، وما زال يلطم على وجهه حتى سال منه الدم ، وصار يصيح : آه ، وا ولداه ! آه وازوجتاه ! آه وامصيبتاه ! من جرى له مثل ما جرى لى ؟

فصاح التجار رفقاؤه لصياحه ، وبكوا معه ، ورثوا لحاله ، وشقوا أثوابهم ؛ وخرج سيدى من ذلك البستان وهو يلطم من شدة ما جرى له ، وأكثر اللطم على وجهه ، وصار كأنه سكران . فبينما الجماعة خارجون من باب البستان ، إذ هم نظروا غبرة عظيمة ، وصيحات بأصوات مزعجة ؛ فنظروا إلى تلك الجهة ، فرأوا الجماعة المقبلين وهم الوالى وجماعته ، والخلق

والعالم الذين يتفرجون ، وأهل التاجر وراءهم يصرخون و يصيحون ، وهم فى بكاء وحزن زائد . فأول من لاقى سيدى زوجته وأولادها ، فلما رآهم بهت وضحك وقال : ما حالكم أنتم ؟ وما حصل لكم فى الدار ؟ وما جرى لكم ؟



فلما رأوه قالوا : الحمد لله على سلامتك أنت .

ورموا أنفسهم عليه . وتعلق أولاده به ، وصاحوا : وا أبتاه ، الحمد لله على سلامتك يا أبانا .

قالت له زوجته : الحمد لله الذى أرانا وجهك بسلامة .

وقد اندهشت وطار عقلها لما رأته ، وقالت له : كيف كانت سلامتك أنت وأصحابك ؟

فقال لها : وكيف كانت حالكم فى الدار ؟

فقالوا : نحن طيبون بخير وعافية ، وما أصاب دارنا شىء من الشر ؛

غير أن عبدك كافور جاء إلينا مكشوف الرأس ، ممزق الأثواب ، وهو يصيح ، « واسيداه ، واسيداه ! » فقلنا له : « ما الخبر يا كافور ؟ » فقال : إن سيدى جلس تحت حائط فى البستان ليقضى حاجة ، فوقع عليه فمات

فقال لهم : والله إنه أتانى فى هذه الساعة وهو يصيح : « واسيدتاه وا أولاد سيدتاه ! » وقال : « إن سيدتى وأولادها ماتوا جميعاً » .

ثم نظر إلى جانبه ، فرآنى وعمامتى ساقطة من فوق رأسى ، وأنا أصيح وأبكى بكاء شديداً ، وأحثو التراب على رأسى . فصاح على ، فأقبلت عليه ، فقال لى : ويلك ياعبد النحس ، يا ابن الزانية ، ياملعون الجنس ، ما هذه الوقائع التى عملتها ؟ ولكن والله لأسلخن جلدك عن لحمك ، وأقطعن لحمك عن عظمك .

فقلت له : والله ما تقدر أن تعمل معى شيئا ، لأنك قد اشتريتنى على عيبى بهذا الشرط ، والشهود يشهدون عليك حين اشتريتنى على عيبى وأنت عالم به ، وهو أنى أكذب فى كل سنة كذبة واحدة ؛ وهذه نصف كذبة ، فإذا كملت السنة كذبت نصفها الآخر ، فتبقى كذبة كاملة .

فصاح على : يا ألعن العبيد ، هل هذا كله نصف كذبة ؟ إنما هو داهية كبيرة ، اذهب عنى فأنت حر .

فقلت : والله إن أعتقتنى أنت ما أعتقك أنا حتى تكمل السنة ، وأكذب نصف الكذبة الباقى ، وبعد أن أتمها انزل بى السوق ،

و بعنى بما اشتريتنى به على عيبى ، ولا تعتقنى، فإننى ما لى صنعة أقتات منها . وهذه المسألة التى ذكرتها لك شرعية ذكرها الفقهاء فى باب العتق .

فبينما نحن فى الكلام ، إذ بالخلائق والناس وأهل الحارة نساء ورجالا قد جاءوا يقدمون العزاء ، وجاء الوالى وجماعته ؛ فراح سيدى والتجار إلى الوالى ، وأعلموه بالقضية، وأن هذه نصف كذبة ؛ فلما سمع الحاضرون ذلك منــه استعظموا تلك الــكذبة ، وتعجبوا غاية العجب ، فلعنونى وشتمونى ، فبقيت واقفاً أضحك وأقول : وكيف يقتلنى سيدى وقد اشترانى على هذا العيب ؟

فلما ذهب سيدى إلى البيت وجده خراباً ، وأنا الذى خربت معظمه ، وكسرت فيه شيئاً يساوى جملة من المال ، فقالت له زوجته : إن كافوراً هو الذى كسر الأوانى والصينى .

فازداد غيظه ، وقال: والله ما رأيت عمرى ولد زنا مثل هذا العبد ، لأنه يقول : « إنها نصف كذبة » . فكيف لو كانت كذبة كاملة ؟ فحينئذ كان يخرب مدينة أو مدينتين .

ثم ذهب من شدة غيظه إلى الوالى ، فضربنى ضربا شديدا حتى غبت عن الدنيا ، وغشى على ؛ فأتانى بالمزين فى حال غشيتى فخصانى وكوانى ، فلما أفقت وجدت نفسى خصياً ، وقال لى سيدى : مثل ما أحرقت قلبى على أعز شىء عندى ، أحرقت قلبك على أعز شىء عندك .



الملك علام الغيوب ، حتى ينجيك من هذه الكروب ، ويحصل لك غاية المطلوب .

وسكت ، فلما تحققت الأمر قالت : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله .

والتفتت إلى غانم وقد وضعت يديها على صدرها ، وقالت له بكلام

حذب : أيها الشاب المبارك ، من جاء بي إلى هذا المكان ؟ فهأنذا قد أفقت .

فقال : يا سيدتى ، ثلاثة عبيد خصيُّون ، أتوا وهم حاملون هذا الصندوق .

ثم حكى لها جميع ما جرى ، وكيف أمسى عليه المساء حتى كان سبب سلامتها ، و إلا كانت ماتت بغصتها . ثم سألها عن حكايتها وخبرها ، فقالت له : أيها الشاب ، الحمد لله الذى رمانى عند مثلك ، فقم الآن وحطنى فى الصندوق ، واخرج إلى الطريق ، فإذا وجدت مُكاَرِياً[1] أو بَغَّالاً ، فاكتره لحمل هذا الصندوق ، وأوصلنى إلى بيتك . فإذا صرت فى دارك يكون خيراً ، وأحكى لك حكايتى ، وأخبرك بقصتى ، و يحصل لك الخير من جهتى .

ففرح وخرج إلى البرية ، وقد شعشع النهار ، وطلعت الشمس بالأنوار ، وخرج الناس ومشوا ؛ فاكترى رجلا ببغل ، وأتى به إلى التربة ، فحمل الصندوق بعد ما حط فيه الصبية . ووقعت محبتها فى قلبه ، وسار بها وهو فرحان ، لأنها جارية تساوى عشرة آلاف دينار ، وعليها حلى وحلل تساوى مالا جزيلا . وما صدق أن وصل إلى داره ، وأنزل الصندوق وفتحه .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

---

(١) المكارى : من يكرى الدواب . وكان يغلب على من يكرى الحمير .

فقال : خذها بالرضا من الحلال ، وابتسم
فقلت : غصبا ، قال : لا إلا على رأس علم
فلا تسل عما جرى واستغفر الله ونم
فَظُنَّ ما شئتَ بنا فالحبّ يحلو بالتُّهم
ولا أبالى بعد ذا إن باح يوما أو كتم

ثم زادت محبته ، وانطلقت النيران فى مهجته ، هذا وهى تتمنع منه وتقول : مالك وصول إلى .

ولم يزالا فى عشقهما ومنادمتهما ، وغانم بن أيوب غريق فى بحر الهيام . وأما هى فإنها ازدادت قسوة وامتناعا ، إلى أن دخل الليل بالظلام ، وأوشك أن يرخى عليهما ذيل المنام . فقام غانم وأشعل القناديل ، وأوقد الشموع ، وزادت بهجة المكان، وقال : ياسيدتى ، ارحمى أسير هواك ، ومن قتلته عيناك ، كنت سليم القلب لولاك .

ثم بكى قليلا فقالت له : والله ، ياسيدى ونور عينى ، أنا لك عاشقة ، وبك متعلقة ، ولكننى أعرف أنك لا تصل إلىّ .

فقال لها : وما المانع ؟

فقالت له : سأحكى لك فى هذه الليلة قصتى ، حتى تقبل عذرى .

ثم إنها ترامت عليه ، وطوقت رقبته بيديها ، وصارت تقبله وتلاطفه ؛ ولم يزالا يلعبان ويضحكان ، حتى تمكن حب بعضهما من بعض .

ولم يزالا على تلك الحـال ، وهما فى كل ليلة ينامان على فراش واحد ، وكلما طلب منها الوصال تتمنع مدة شهر كامل . وتمكن حب كل واحد منهما من قلب الآخر ، ولم يبق لهما صبر عن بعضهما بعضـا ، إلى أن كانت ليـــلة من الليالى قالت : أنا الآن أوضح لك أمرى ، حتى تعرف قدرى ، وينكشف لك سرى ، ويظهر لك عذرى .

قال : نعم .

فعند ذلك أظهرت ذيل قميصها وقالت : ياسيدى ، اقرأ الذى على هذا الطرف .

فأخذ طرف القميص فى يده ، ونظره فوجده مرقوماً عليه بالذهب : « أنا لك وأنت لى ، يا ابن عم النبى » . فلما قرأه نثر يده وقال لها : اكشفى لى عن خبرك .

قالت : نعم . اعلم أنى محظية أمير المؤمنين ، واسمى قوت القلوب . وأن أمير المؤمنين لما ربانى فى قصره وكبرت ، نظر إلى صفاتى ، وما أعطانى ربى من الحسن والجمال ، فأحبنى محبة زائدة ، وأخذنى وأسكننى فى مقصورة ، وأمر لى بعشر جوار يخدمننى ؛ ثم إنه أعطانى ذلك المصاغ الذى تراه معى . ثم إن الخليفـة سافر يوما من الأيام إلى بعض البلاد ، فجاءت السيدة زبيدة إلى بعض الجوارى اللاتى فى خدمتى ، وقالت : إذا نامت سيدتك قوت القلوب ، فحطى هذه القطعة البنج فى أنفها ، أو فى شرابها ، ولك علىّ من المال ما يكفيك .

إلى الليل . ثم قام غانم ، وفرش فراشين ، كل فراش فى مكان وحده ؛ فقالت له قوت القلوب : لمن هذا الفراش الثانى ؟

فقال لها : هذا لى ، والآخر لك ، ومن الليلة لا ننام إلا على هـذا النمط ، وكل شىء للسيد حرام على العبد .

فقالت : يا سيدى دعنا من هذا ، وكل شىء يجرى بقضاء وقدر .

فأبى ، فانطلقت النـار فى قلبها ، وزاد غرامها به ، وقالت : والله ما ننام إلا معاً .

فقال : معاذ الله .

وتغلب عليها ، ونام وحده إلى الصباح ، فزاد بها العشق والغرام ، واشتد بها الوجد والهيام . وأقاما على ذلك ثلاثة أشهر ، وهى كلما تقترب منه يمتنع عنها ، ويقول : كل ما هو مخصص للسيد حرام على العبد .

فلما طال بها المطال مع غانم بن أيوب ، المتيم المسلوب ، وزادت بها الشجون والـكروب ، أنشدت هذه الأبيات :

بديعَ الحسن كم هـذا التجنِّى ... ومن أغراكَ بالإعراض عنِّى ؟
حويتَ من الرشاقة كلَّ معنى ... وحزتَ من الملاحة كلَّ فنِّ
وأجريتَ الغرام لـكل قلب ... وكلَّلْتَ السهادَ بكل جَفْنِ
وأعرف قبلك الأغصانَ تُجنى ... فيا غصنَ الأراكِ أراكَ تَجْنى !
وعهدى بالظِّبا صَيْدٌ فمـالى ... أراكَ تصيد أرباب المِجَن[1]

---

(١) المجن : كل ما وقى من السلاح .

وأعجبَ ما أُحَدثُ عنك أنى   فُتِنْتُ وأنت لم تعلم بأنّى . .
فلا تسمح بوصلك لى فإنى   أغار عليك منك فكيف منّى ؟
ولست بقائل ما دمت حيًّا   بديع الحسن كم هذا التجنى !

وأقاموا على هذا الحال مدة ، والخوف يمنع غانماً عنها .

فهذا ما كان من أمر المتيم المسلوب ، غانم بن أيوب .

وأما ما كان من أمر السيدة زبيدة ، فإنها فى غيبة الخليفة فعلت بقوت القلوب ذلك الأمر ، ثم صارت متحيرة تقول فى نفسها : ماذا أقول للخليفة إذا جاء وسأل عنها ؟ وماذا يكون جوابى له ؟

فدعت بعجوز كانت عندها ، وأطلعتها على سرها ، وقالت لها : كيف أفعل ، وقوت القلوب قد فَرَطَ فيها الفرط[1] ؟

فقالت لها العجوز لما فهمت الحال : اعلمى يا سيدتى أنه قد قرب مجىء الخليفة ، ولكن أرسلى إلى نجار ، وأْمُريه أن يعمل صورة ميت من خشب ، ويُحفَر له قبر ، وتوقد حوله الشموع والقناديل ؛ وَأْمُرى كل من فى القصر أن يلبسوا السواد ؛ وأمرى جواريك والخدم إذا علموا أن الخليفة قد أتى من سفره ، أن يُشِيعوا الحزن فى الدهليز . فإذا دخل وسأل عن الخبر يقولون له : « إن قوت القلوب قد ماتت ، ويعظم الله أجرك فيها ، ومن مَعَزَّتها عند سيدتنا دفنتها فى قصرها » . فإذا سمع

(١) فرط : سبق . والفرط : الأمر الذى يفرط فيه صاحبه .

غلب عليه الوسواس ، أمر بحفر القبر ، و إخراجها منه . فلما رأى الكفن وأراد أن يزيله عنها ليراها ، خاف من الله تعالى ، فقالت العجوز : ردوها إلى مكانها .

ثم إن الخليفة أمر فى الحال بإحضار الفقهاء والمقرئين ، وقرءوا الختمات على قبرها ، وجلس بجانب القبر يبكى إلى أن غشى عليه ، ولم يزل قاعداً على قبرها شهراً كاملا .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٤١

(فلما كانت الليلة الواحدة والأربعون) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الخليفة لم يزل يتردد على قبرها مدة شهر ؛ فاتفق أن الخليفة دخل الحريم بعد انصراف الأمراء والوزراء من بين يديه إلى بيوتهم ، ونام ساعة ؛ فجلست عند رأسه جارية ، وعند رجليه جارية . و بعد أن غلب عليه النوم تنبه وفتح عينيه ، فسمع الجارية التى عند رأسه تقول للتى عند رجليه : ويلك ياخيزران !

قالت : لأى شىء يا قضيب ؟

قالت : إن سيدنا ليس عنده علم بما جرى ، حتى أنه يسهر على قبر ليس فيه إلا خشبة منجورة صنعة النجار .

فقالت لها الأخرى : وقوت القلوب أى شىء أصابها ؟

فقالت : اعلمى أن السيدة زبيدة أرسلت مع جارية بنجاً و بنجتها ، فلما تحكم البنج منها وضعتها فى صندوق ، وأرسلتها مع صواب وكافور ، وأمرتهما أن يرمياها فى التربة .

فقالت خيزران : ويلك يا قضيب ، هل السيدة قوت القلوب لم تمت ؟

فقالت : سلامة شبابها من الموت . ولكن أنا سمعت السيدة زبيدة تقول : إن قوت القلوب عند شاب تاجر اسمه غانم الدمشقى ، وأن لها عنده إلى هذا اليوم أربعة أشهر ؛ وسيدنا هذا يبكى و يسهر الليالى على قبر لم يكن فيه الميت . .

وصارتا تتحدثان بهذا الحديث ، والخليفة يسمع كلامهما . فلما فرغت الجاريتان من الحديث ، وعرف القضية ، وأن هذا القبر زور ، وأن قوت القلوب عند غانم بن أيوب منذ أربعة أشهر ، غضب غضباً شديداً ، وقام وأحضر أمراء دولته . فعند ذلك أقبل الوزير جعفر البرمكى ، وقبل الأرض بين يديه ، فقال له الخليفة بغيظ : انزل يا جعفر بجماعة ، واسأل عن بيت غانم بن أيوب ، واهجموا على داره ، وائتونى بجاريتى قوت القلوب ، ولابد لى أن أعذبه .

فأجابه جعفر بالسمع والطاعة .

فعند ذلك نزل جعفر هو وأتباعه والوالى صحبته ، ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى دار غانم . وكان غانم قد خرج فى ذلك الوقت ، وجاء بقدر لحم ، وأراد أن يمد يده ليأكل هو وقوت القلوب ؛ فلاحت منه

التفاتة ، فوجد البلاء قد أحاط بالدار ، والوزير والوالى والظلمة والمماليك بسيوف مجردة ، وداروا بها كما يدور بالعين السواد . فعند ذلك عرفت قوت القلوب أن خبرها قد وصل إلى الخليفة سيدها ، فأيقنت بالهلاك ، واصفر لونها ، وتغيرت محاسنها . ثم إنها نظرت إلى غانم وقالت له : يا حبيبى ، فز بنفسك .

فقال لها : كيف أعمل ، وإلى أين أذهب ، ومالى ورزقى فى هذه الدار ؟

فقالت له : لاتمكث لئلا تهلك ويذهب مالك .

فقال لها : يا حبيبتى ونور عينى ، كيف أصنع فى الخروج ، وقد أحاطوا بالدار ؟

فقالت له : لا تخف .

ثم إنها نزعت ما عليه من الثياب ، وألبسته خُلقاناً بالية ، وأخذت القدر التى كان فيها اللحم ، ووضعتها فوق رأسه ، وحطت فيها بعض خبز ، وأعطته زبدية طعام ، وقالت له : اخرج بهذه الحيلة ، ولا عليك منى ، فأنا أعرف أى شىء فى يدى من الخليفة .

فلما سمع غانم كلام قوت القلوب ، وما أشارت عليه به ، خرج من بينهم وهو حامل القدر . وستر عليه الستار ، ونجا من المكايد والأضرار ، ببركة نيته . فلما وصل الوزير جعفر إلى ناحية الدار ، ترجل عن حصانه ، ودخل البيت ونظر إلى قوت القلوب ، وقد تزينت

وتبهرجت ، وملأت صندوقاً من ذهب ومصاغ وجواهر وتحف مما خف حمله وغلا ثمنه . فلما دخل عليها جعفر قال لها : والله يا سيدتى إنه ما أوصانى إلا بالقبض على غانم بن أيوب .

فقالت له : اعلم أنه حزم تجارة ، وذهب بها إلى دمشق ، ولا علم لى بغير ذلك. وأريد أن تحفظ لى الصندوق وتحمله إلى قصر أمير المؤمنين .

فقال جعفر : السمع والطاعة .

ثم أخذ الصندوق ، وأمر بحمله ، وقوت القلوب معهم ، إلى دار الخلافة ، وهى مكرمة معززة ، وكان هذا بعد أن نهبوا دار غانم .

ثم توجهوا إلى الخليفة ، فحكى له جعفر جميع ما جرى ، فأمر الخليفة لقوت القلوب بمكان مظلم ، وأسكنها فيه ، وألزم بها عجوزاً لقضاء حاجتها ، لأنه ظن أن غانماً أخش بها . ثم كتب مكتوباً للأمير محمد ابن سليمان الزينى ، وكان نائباً فى دمشق ، مضمونه : ساعة وصول هذا المكتوب إلى يديك ، تقبض على غانم بن أيوب وترسله إلى .

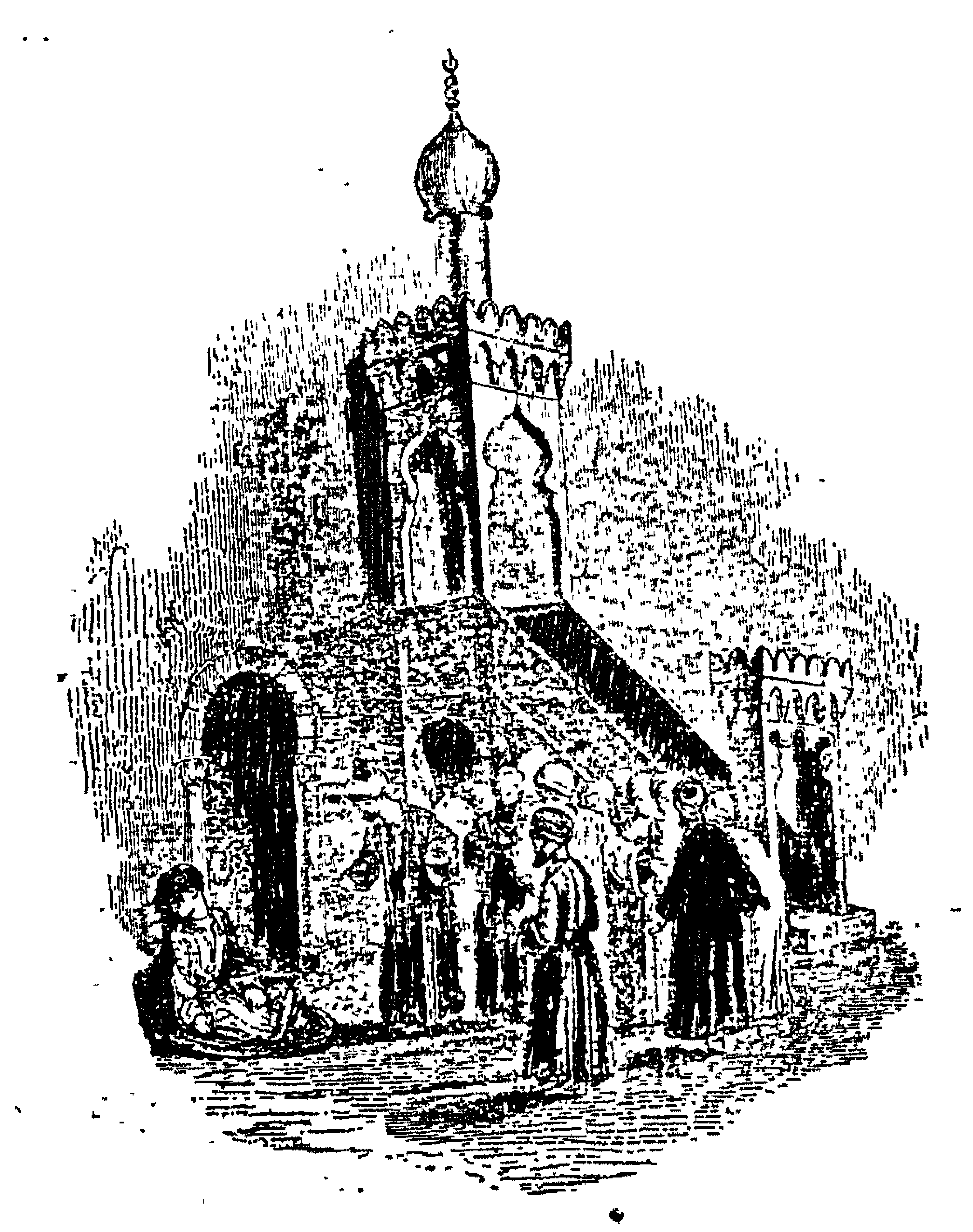
فلما وصل المرسوم إليه قبله ووضعه على رأسه ، ونادى فى الأسواق من أراد أن ينهب فعليه بدار غانم بن أيوب .

فجاءوا إلى الدار ، فوجدوا أم غانم وأخته قد صنعتا قبراً ، وقعدتا تبكيان ؛ فقبضوا عليهما ، ونهبوا الدار ، ولم تعلما ما الخبر . فلما أحضروهما عند السلطان ، سألهما عن غانم بن أيوب ، فقالتا له : من مدة سنة ما وقفنا له على خبر .

فردهما إلى مكانهما .

هذا ما كان من أمرها .

وأما ما كان من أمر غانم بن أيوب ، المتيم المسلوب ، فإنه لما سلبت نعمته ، تحير فى أمره ، وصار يبكى على نفسه ، حتى انفطر قلبه . وسار ولم يزل سائراً إلى آخر النهار ، وقد ازداد به الجوع ، وأضر به المشى ، حتى وصل إلى بلد ، فدخل مسجداً ، وجلس على (برش) ، وأسند



ظهره إلى حائط المسجد ، وارتمى وهو فى غاية الجوع والتعب . ولم يزل مقيما هناك إلى الصباح،وقد خفق قلبه من الجوع ،وركب جلده القمل ، وصارت رائحته منتنة ، وتغيرت أحواله . فأتى أهل تلك البلدة يصلون الصبح ، فوجدوه مطروحاً ضعيفاً من الجوع ، وعليه آثار النعمة لائحة . فلما أقبلوا عليه وجدوه مقرورا[1] جائعاً ، فألبسوه ثوباً عتيقاً قد بليت أكمامه ، وقالوا له : من أين أنت يا غريب ؟ وما سبب ضعفك ؟

ففتح عينيه ، ونظر إليهم و بكى ، ولم يرد عليهم جواباً . ثم إن بعضهم عرف شدة جوعه ، فذهب وجاء بعسل ورغيفين، فأكل،وقعدوا عنده حتى طلعت الشمس ، ثم انصرفوا لأشغالهم . ولم يزل على هذه الحال شهراً ، وهو عندهم ، وقد تزايد عليه الضعف والمرض ؛ فتعطفوا عليه ، وتشاوروا بعضهم مع بعض فى أمره ، ثم اتفقوا على أن يوصلوه إلى المارستان الذى ببغداد . فبينما هم كذلك إذ بامرأتين سائلتين قد دخلتا عليه ، وهما أمه وأخته ؛ فلما رآهما أعطاهما الخبز الذى عند رأسه ، ونامتا عنده تلك الليلة ، ولم يعرفهما .

فلما كان ثانى يوم أتاه أهل القرية ، وأحضروا جملا ، وقالوا لصاحبه : احمل هذا الضعيف فوق الجمل ، فإذا وصلت إلى بغداد ، فأنزله على باب المارستان ، لعله يتعافى فيحصل لك الأجر .

---

(١) المقرور : الذى أصابه البرد

فقال لهم : السمع والطاعة .

ثم إنهم أخرجوا غانم بن أيوب من المسجد ، وحملوه بالبرش الذى هو نائم عليه فوق الجمل . وجاءت أمه وأخته تتفرجان عليه من جملة الناس ، ولم تعلما به . ثم نظرتا إليه وتأملتاه وقالتا : إنه يشبه غانماً ابننا ، فياترى أهو هذا الضعيف أم لا ؟

وأما غانم فإنه لم يفق إلا وهو محمول فوق الجمل ، فصار يبكى وينوح ، وأهل القرية ينظرونه ، وأمه وأخته تبكيان عليه ولم تعرفاه ؛ ثم سافرت أمه وأخته إلى أن وصلتا إلى بغداد .

وأما الجمال فإنه لم يزل سائراً به حتى أنزله على باب المارستان ، وأخذ جمله ورجع . فمكث غانم راقداً هنالك إلى الصباح ، فلما درَج الناس فى الطريق ، نظروا إليه وقد صار أرق من الخِلال[1] . ولم يزل الناس يتفرجون عليه ، حتى جاء شيخ السوق ، ومنع الناس عنه ، وقال : أنا أكتسب الجنة بهذا المسكين ، لأنهم متى أدخلوه المارستان قتلوه فى يوم واحد .

ثم أمر صبيانه بحمله ، فحملوه إلى بيته ، وفرش له فرشاً جديداً ، ووضع له مخدة جديدة ، وقال لزوجته : اخدميه بنصح .

فقالت : على الرأس .

---

(١) الخلال : ما يثقب به ، وعود رفيق .

ثم تشمرت وسخنت له ماء ، وغسلت يديه ورجليه و بدنه ، وألبسته ثو باً من لبس خدمها ، وسقته قدح شراب ، ورشت عليه ماء ورد ، فأفاق ؛ وتذكر محبو بته قوت القلوب ، فزادت به الكروب .

هذا ما كان من أمره .

وأما ما كان من أمر قوت القلوب ، فإنها لما غضب عليها الخليفة ...

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٤٢

(فلما كانت الليلة الثانية والأربعون) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن قوت القلوب لما غضب عليها الخليفة ، وأسكنها فى مكان مظلم ، استمرت فيه على هذه الحال ثمانين يوماً . فاتفق أن الخليفة مرّ يوماً من الأيام على ذلك المكان ، فسمع قوت القلوب تنشد الأشعار ؛ فلما فرغت من إنشادها قالت : يا حبيبى ، يا غانم ، ما أحسنك ! وما أعف نفسك ! قد أحسنت لمن أساء إليك ، وحفظت حرمة من انتهك حرمتك ، وسترت حريمه وهو سباك وسبى أهلك ، ولا بد أن تقف أنت وأمير المؤمنين بين يدى حاكم عادل ، وتنتصف عليه فى يوم يكون القاضى هو الله ، والشهود هم الملائكة .

فلما سمع الخليفة كلامها ، وفهم شكواها ، علم أنها مظلومة . فدخل قصره ، وأرسل الخادم لها ؛ فلما حضرت بين يديه أطرقت ، وهى

باكية العين ، حزينة القلب ، فقال : يا قوت القلوب ، أراك تتظلمين مني وتنسبينني إلى الظلم ، وتزعمين أني أسأت إلى من أحسن إليّ . فمن هو الذي حفظ حرمتي وانتهكت حرمته؟وستر حريمي وسبيت حريمه ؟

فقالت له : غانم بن أيوب ، فإنه لم يقربني بفاحشة،وحق نعمتك يا أمير المؤمنين .

فقال الخليفة : لا حول ولا قوة إلا بالله ! يا قوت القلوب تمنّيْ عليّ ، فأنا أبلغك مرادك .

قالت : تمنيت عليك محبوبي غانم بن أيوب .

فلما سمع كلامها قال : سوف أحضره — إن شاء الله — مكرماً .

فقالت : يا أمير المؤمنين ، إن أحضرته أتهبني له ؟

فقال : إن أحضرته وهبتك له هبة كريم ، لا يرجع في عطائه .

فقالت : يا أمير المؤمنين ، ائذن لي أن أبحث عنه ، لعل الله يجمعني به .

فقال لها : افعلي ما بدا لك .

ففرحت ، وخرجت ومعها ألف دينار ، فزارت المشايخ ، وتصدقت عليهم . وطلعت ثاني يوم إلى التجار ، وأعطت عريف السوق دراهم ، وقالت له : تصدق بها على الغرباء

ثم طلعت ثاني جمعة ، ومعها ألف دينار ، ودخلت سوق الصاغة ،

وسوق الجوهريين ، وطلبت عريف السوق فحضر ، فدفعت له ألف دينار وقالت له : تصدق بها على الغرباء .

فنظر إليها العريف وهو شيخ السوق ، وقال لها : هل لك أن تذهبي إلى دارى ، وتنظرى إلى هذا الشاب الغريب ؟ ما أظرفه وما أكمله !

وكان هو غانم بن أيوب ، المتيم المسلوب ، ولكن العريف ليس له به معرفة ، وكان يظن أنه رجل مسكين مدين سُلِبت نعمته ، أو عاشق فارق أحبته .

فلما سمعت كلامه ، خفق قلبها ، وتعلقت به أحشاؤها ، فقالت له : أرسل معى من يوصلنى إلى دارك .

فأرسل معها صبياً صغيراً ، فأوصلها إلى الدار التى فيها الغريب ، فشكرته على ذلك . فلما دخلت تلك الدار ، وسلمت على زوجة العريف ، قامت زوجة العريف وقبلت الأرض بين يديها ، لأنها عرفتها ، فقالت لها قوت القلوب : أين الضيف الذى عندكم ؟ .

فبكت وقالت : ها هوذا يا سيدتى ، إلا أنه ابن ناس ، وعليه أثر النعمة .

فالتفتت إلى الفراش الذى هو راقد عليه ، وتأملته فرأته كأنه هو بذاته ؛ ولكنه كان قد تغيرت حاله ، وزاد نحوله ، ورق إلى أن صار كالخِلال . وانبهَمَ عليها أمره ، فلم تتحقق أنه هو ، ولكن أخذتها

الشفقة عليه ، فصارت تبكى وتقول : إن الغرباء مساكين ، و إن كانوا أمراء فى بلادهم .

ورتبت له الشراب والأدوية ؛ ثم جلست عند رأسه ساعة ، وركبت وطلعت إلى قصرها ، وصارت تطلع فى كل سوق لأجل التفتيش على غانم .

ثم إن العريف أتى بأمه وأخته فتنة ، ودخل على قوت القلوب وقال : يا سيدة المحسنات ، قد دخل مدينتنا فى هذا اليوم امرأة وبنت ، وهما من وجوه الناس ، وعليهما أثر النعمة لائح ؛ لكنهما



لابستان ثياباً من الشعر ، وكل واحدة مُعَلَّقة فى رقبتها مخلاة ، وعيونهما باكية ، وقلوبهما حزينة . وهأنذا أتيت بهما إليك ، لتؤويهما ، وتصونيهما عن ذل السؤال ، لأنهما ليستا أهلا لسؤال اللئام ، وإن شاء الله ندخل بسببهما الجنة .

فقالت : والله يا سيدى لقد شوقتنى إليهما ، وأين هما ؟

فأمرهما بالدخول ، فعند ذلك دخلت فتنة وأمها على قوت القلوب ، فلما نظرتهما قوت القلوب ، وهما ذواتا جمال ، بكت عليهما ، وقالت : والله إنهما أولاد نعمة ، و يلوح عليهما أثر الغنى .

فقال : يا سيدتى ، إننا نحب الفقراء والمساكين لأجل الثواب ؛ وهاتان ربما جار عليهما الظلمة ، وسلبوا نعمتهما ، وخربوا ديارهما .

ثم إن المرأتين بكتا بكاء شديداً ، وتذكرتا غانم بن أيوب المتيم المسلوب ، فزاد نحيبهما . فلما بكتا بكت قوت القلوب لبكائهما ؛ ثم إن أمه قالت: نسأل الله أن يجمعنا بمن نريده، وهو ولدى غانم بن أيوب .

فلما سمعت قوت القلوب هذا الكلام ، علمت أن هذه المرأة أم معشوقها ، وأن الأخرى أخته ، فبكت هى حتى غشى عليها . فلما أفاقت أقبلت عليهما ، وقالت لهما : لا بأس عليكما ! فهذا اليوم أول سعادتكما وآخر شقاوتكما ، فلا تحزنا .

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٤٣

(فلما كانت الليلة الثالثة والأربعون) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن قوت القلوب قالت لهما : لا تحزنا

ثم أمرت العريف أن يأخذهما إلى بيته ، ويكلف زوجته بأن تدخلهما الحمام ، وتلبسهما ثياباً حسنة ، وتعتنى بهما ، وتكرمهما غاية الإكرام ، وأعطته جملة من المال . وفى ثانى يوم ركبت قوت القلوب ، وذهبت إلى بيت العريف ، ودخلت عند زوجته ، فقامت وقبلت يديها ، وشكرت إحسانها . ورأت أم غانم وأخته . وقد أدخلتهما زوجة العريف الحمام ، ونزعت ما كان عليهما من الثياب ، فظهرت عليهما آثار النعمة ؛ فجلست تحادثهما ساعة ، ثم سألت زوجة العريف عن المريض الذى عندها ، فقالت : هو بحاله .

فقالت : قمن بنا نُطِلُّ عليه ونعود .

فقامت هى وزوجة العريف وأم غانم وأخته ، ودخلن عليه ، وجلسن عنده . فلما سمعهن غانم بن أيوب ، المتيم المسلوب ، يذكرن قوت القلوب ، وكان قد نحل جسمه ، ورق عظمه ، ردت إليه روحه ، ورفع رأسه من فوق المخدة ، ونادى : يا قوت القلوب .

فنظرت إليه وتحققته ، فعرفته ، وصاحت بدورها : نعم يا حبيبى ؟

فقال لها : اقتربى منى .

فقالت له : لعلك غانم بن أيوب ، المتيم المسلوب ؟

فقال لها : نعم أنا هو .

فعند ذلك وقعت مغشياً عليها .

فلما سمعت أخته وأمه كلامها ، صاحتا بقولهما : وافرحتا !

ووقعتا مغشياً عليهما .

و بعد ذلك استفاقتا ، فقالت له قوت القلوب : الحمد لله الذى جمع شملنا بك ، و بأمك و بأختك .

وتقدمت إليه وحكت له جميع ما جرى لها من الخليفة ، وقالت : إنى قلت له : « قد أظهرت لك الحق يا أمير المؤمنين » . فصدّق كلامى ، ورضى عنك ، وهو اليوم يتمنى أن يراك . ثم قالت لغانم : إن الخليفة وهبنى لك .

ففرح بذلك غاية الفرح ، فقالت لهم قوت القلوب : لا تبرحوا حتى أحضر .

ثم إنها قامت من وقتها وساعتها ، وانطلقت إلى قصرها ، وحملت الصندوق الذى أخذته من داره ، وأخرجت منه دنانير ، وأعطت العريف إياها ، وقالت له : خذ هذه الدنانير ، واشتر لكل شخص منهم أربع بذلات كوامل من أحسن قماش ، وعشرين منديلا ، وغير ذلك مما يحتاجون إليه .

ثم إنها دخلت بهما و بغانم الحمام ، وأمرت بغسلهم ، وعملت لهم المساليق ، وماء الخولنجان ، وماء التفاح ، بعد أن خرجوا من الحمام

ولبسوا الثياب . وأقامت عندهم ثلاثة أيام ، وهي تطعمهم لحم الدجاج والمساليق ، وتسقيهم السكر المذاب . وبعد ثلاثة أيام ردت إليهم أرواحهم ، وأدخلتهم الحمام ثانياً ، وخرجوا وغيرت ثيابهم ، وتركتهم في بيت العريف . وذهبت إلى الخليفة ، وقبلت الأرض بين يديه ، وأعلمته بالقصة ، وأنه قد حضر سيدها غانم بن أيوب ، المتيم المسلوب ، وأن أمه وأخته قد حضرتا .

فلما سمع الخليفة كلام قوت القلوب ، قال للخدام : عليّ بغانم .

فنزل جعفر إليه ، وكانت قوت القلوب قد سبقته ، ودخلت على غانم ، وقالت له : إن الخليفة قد أرسل إليك ليحضرك بين يديه ، فعليك بفصاحة اللسان ، وثبات الجنان ، وعذوبة الكلام .

وألبسته حلة فاخرة ، وأعطته دنانير بكثرة ، وقالت له : أكثر البذل إلى حاشية الخليفة ، وأنت داخل عليه .

وإذا بجعفر قد أقبل عليه ، وهو على بغلته ؛ فقام غانم ، وقابله وحياه ، وقبل الأرض بين يديه ، وقد ظهر كوكب سعده ، وارتفع طالع مجده ؛ فأخذه جعفر ، ولم يزالا سائرين حتى دخلا على أمير المؤمنين . فلما حضرا بين يديه ، نظر غانم إلى الوزراء والأمراء والحجاب والنواب وأرباب الدولة وأصحاب الصولة . وكان غانم فصيح اللسان ، ثابت الجنان ، رقيق العبارة ، أنيق الإشارة ، فأطرق برأسه إلى الأرض ، ثم نظر إلى الخليفة وأنشد هذه الأبيات :

أفديك من ملك عظيم الشانِ　　متتابع الحسنات والإحسانِ
متوقِّدِ العزمات فياضِ النَّدى　　حَدِّثْ عن الطوفان والنيران
لا يلهجون بغيره من قيصر　　فى ذا المقام وصاحب الإيوان
حتى إذا شخصت له أبصارُهُم　　خروا لهيبته على الأذقان
ويفيدهم ذاك المقامُ مع الرضا　　رُتَبَ العلا وجلالة السلطان
ضاقت بعسكرك الفيافى والفلا　　فاضرب خيامك فى ذرى كِيوَان[1]
وَاقْرِ[2] الكواكب بالمواكب محسناً　　لشريف ذاك العالم الروحانى
وملكت شامخة الصَّياصى[3] عَنْوَةً　　من حسن تدبير وثَبْتِ جَنَان
ونشرت عدلك فى البسيطة كلها　　حتى استوى القاصى بها والدانى

فلما فرغ من شعره ، طرب الخليفة من محاسن رونقه ، وأعجبه فصاحة لسانه وعذوبة منطقه .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٤٤

(فلما كانت الليلة الرابعة والأربعون) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن غانم بن أيوب لما أعجب الخليفة بفصاحته ونظمه وعذوبة منطقه ؛ قال له : ادن منى .

---

(١) كيوان : نجم .
(٢) اقر الكواكب : طف بها . قرى البلاد : تتبعها وطاف بها .
(٣) الصياصى : الحصون .

فدنا منه ، ثم قال له : اشرح لى قصتك ، وأطلعنى على حقيقة خبرك .

فتقدم وحدث الخليفة بما جرى له من المبتدأ إلى المنتهى ؛ فلما علم الخليفة أنه صادق ، خلع عليه وقرّبه إليه ، وقال له : أبْرِىء ذمتى .

فأبرأ ذمته وقال له : يا أمير المؤمنين ، إن العبد وما ملكت يداه لسيده .

ففرح الخليفة بذلك ، ثم أمر أن يفرد له قصر ، ورتب له من الرواتب والجرايات شيئاً كثيراً ، فنقل أمه وأخته إليه ، وسمع الخليفة بأن أخته فِتنة فى الحسن فِتنة ، فخطبها منه ، فقال له غانم : إنها جاريتك ، وأنا مملوكك .

فشكره وأعطاه مائة ألف دينار ، وأتى بالقاضى والشهود ، وكتبوا الكتاب ، ودخل هو وغانم فى نهار واحد ؛ فدخل الخليفة على فِتنة ، وغانم بن أيوب على قوت القلوب .

فلما أصبح الصباح أمر الخليفة أن يؤرخ جميع ماجرى لغانم من أوله إلى آخره ، وأن يدون فى السجلات ، لأجل أن يطلع عليه من يأتى بعده فيتعجب من تصرفات الأقدار ، ويفوض الأمر إلى خالق الليل والنهار .

وليس هذا بأعجب من حكاية عمر النعمان ، وولده شركان ، وولده ضوء المكان ، وماجرى لهم من العجائب والغرائب ، وفيها قصة :

العاشق والمعشوق

قال الملك : وما حكايتهم . . ؟

ألف ليلة وليلة

مراجعة الأستاذين

سعيد جوده السحار ، عبد الستار فراج

١ ـ التاجر والعفريت

٢ ـ الصياد والعفريت

٣ ـ الحمال والبنات

٤ ـ نور الدين وشمس الدين

٥ ـ الخياط والأحدب

٦ ـ أنيس الجليس

٧ ـ غانم وقوت القلوب

٨ ـ العاشق والمعشوق

٩ ـ الطيور والحيوانات وابن آدم

١٠ ـ على بكار وشمس النهار

١١ ـ قمر الزمان

١٢ـ الأمجد والأسعد

١٣ـ نعم ونعمة

دار مصر للطباعة